

عن العلاقات المسكونية في بلادنا

الأب أنطوان ملكي

نشر موقع البطريركية اللاتينية في القدس، بتاريخ الرابع من تشرين الثاني ٢٠٢٢ وثيقة "توجيهات رعوية مسكونية للكنائس الكاثوليكية في الأرض المقدسة" [١]، بعد أن كان صادق عليها مجلس رؤساء الكنائس الكاثوليكية في الأرض المقدسة. والوثيقة هي مجموعة توجيهات وقوانين تنطبق على جميع الكنائس الكاثوليكية في الأرض المقدسة التي تضم فلسطين وإسرائيل والأردن وقبرص. جدير بالإشارة، بحسب ما ذكر في مطلع النص، أن المرجع الرئيس لهذه التوجيهات هو "دليل لتطبيق مبادئ الحركة المسكونية وقواعدها" الذي نشره المجلس الحبري لتعزيز الوحدة بين المسيحيين عام ١٩٩٣.

تذكر الوثيقة أن الهدف من هذه التوجيهات هو تعزيز ممارسات مشتركة موحدة لدى الكنائس الكاثوليكية وكهنتها. وهي تتناول بشكل خاص المشاركة في حياة الأسرار، وقد يصدر مثلها لتوجيه الأشكال الأخرى من التعاون والعلاقات المسكونية، كالتنشئة المسكونية، والمدارس، والمؤسسات الخيرية، ورعاية الشبيبة.

القسم الأول مخصص للكنائس والعلاقات المسكونية في الأرض المقدسة وهو يتبنى المعايير المستخدمة في مجلس كنائس الشرق الأوسط من جهة مفهوم العائلات الكنسية الأربع التي تشكل "التقاليد" المسيحية. وإذ تشير الوثيقة إلى أن هذا التنوع يشكل غنى حقيقياً للكنائس يأسف من ناحية أخرى، لأن هذا التنوع تحول إلى انقسامات عبر التاريخ ما أورث العلاقات المسكونية في الأرض المقدسة، خاصة في القدس، أعباء التاريخ السلبية كالاخلافات حول الأماكن المقدسة وغيرها.

توقفت الوثيقة عند حجّ البابا بولس السادس عام ١٩٦٤، ولقاءاته مع البطريرك المسكوني أثيناغوراس ومع بطريرك القدس بندكتس ومرحلة تحسّن العلاقات في القدس التي تشكلت منذ ذلك الحين. هذا وتلحظ الوثيقة أن العلاقات بين المؤمنين تختلف تماماً إذ يعيشون جنباً إلى جنب ويتعاونون بشكل عفوي. ولهذا، ترى الوثيقة، أن المؤمنين يميلون إلى تجاوز الحدود الطائفية في الحياة الكنسية والنشاطات، وحتى في الحياة الليتورجية وممارسة الأسرار، وهذا تعبير عن "حسّ الإيمان لدى المؤمنين... وغريزة الإيمان التي تساعدهم على تمييز ما هو حقاً من الله"، استشهداً بكلام البابا فرنسيس في "فرح الإنجيل" وهو وعي ذو معنى لاهوتي يستحق أن يؤخذ بعين الاعتبار.

وبعد أن تسند الوثيقة فصلاً للتعاليم الرسمية للكنيسة الكاثوليكية حول الشأن المسكوني من نصوص ومراجع ووثائق، تنتقل إلى تلخيص المبادئ اللاهوتية والكنسية الكاثوليكية حول الشأن المسكوني مشددةً على أهمية أن يلمَّ بها جميع الأساقفة والكهنة والرهبان والراهبات وكلُّ العلمانيين الملتزمين. تتوقف الوثيقة عند الكنيسة ووحدها في تدبير الله والكنيسة بصفته شركة.

من ثم تصف الوثيقة المبادئ اللاهوتية للمشاركة في النشاطات والموارد الروحية، وتشير إلى أن بين المسيحيين، شركة حقيقية ولكنها ناقصة ويمكن التعبير عنها بأساليب كثيرة، من بينها المشاركة في الصلاة والطقوس الليتورجية بحسب درجة الشركة الحاصلة، مع التمييز بين العلاقات بالكنائس الأورثوذكسية والعلاقات بالجماعات الكنسية المنبثقة عن إصلاح القرن السادس عشر.

وهنا لا بدّ من تسليط الضوء على الكلام التالي الوارد في الوثيقة: "حتى ولو أن الكنيسة الكاثوليكية تعترف، في كثير من الحالات، بصحة العماد الذي تمنحه هذه التقاليد، ليس هنالك اعتراف عام لصحة الأسرار فيها وخاصة الخدم الناجمة عن رسامة من خلال الخلافة الرسولية. وهذا ما له نتائج هامة على إمكانية أو عدم إمكانية الشركة في الموارد الروحية والليتورجية." وتحدد الوثيقة أن "المشاركة في الاحتفال الإفخارستي، الذي هو التعبير الأسراري المرئي لملء الشركة في الإيمان، والعبادة، والحياة المشتركة، لا تصح مع خدمة الكنائس أو الجماعات الكنسية، التي ليس لها شركة كاملة مع الكنيسة الكاثوليكية". وينتهي المقطع بوجوب "أن نعي أن قبول التناول الإفخارستي ليس، مطلقاً، مجرد عمل شخصي، بل يعني نوعاً من الشركة الحقيقية القائمة بين الكنائس أو الجماعات الكنسية وهؤلاء الأشخاص الذين يشاركون في الإفخارستيا الواحدة."

القسم الثاني من التوجيهات هو بعنوان "علاقات مسكونية رعوية"، يحدد عدداً من المبادئ أولها أن منح "أسرار التوبة والإفخارستيا ومسحة المرضى لمؤمني الكنائس الشرقية إذا طلبوا ذلك تلقائياً وكانوا لها على استعداد لائق" يجب أن لا يكون اقتناعاً أو ما شابه. من هنا أنه "يجوز للكاثوليك أن يتلوا قراءات، إذا دُعوا إلى ذلك" أما "المشاركة في الاحتفال الإفخارستي لا تجوز مبدئياً". كما يستطيع "مؤمن شرقي، لسبب مُحقّق، أن يقوم بمهمة العزّاب، بمعونة عزّاب كاثوليك (أو عرابة كاثوليكية) في معمودية طفل أو بالغ كاثوليك، بشرط أن تؤمّن تربية كافية للشخص المُعمّد"، و"يجوز لمسيحي ينتمي إلى كنيسة شرقية أن يكون شاهد زواج في كنيسة كاثوليكية". وهنا تشير التوجيهات إلى أنه "إذا رغب كاثوليك رغبةً مشروعةً في قبول المناولة لدي المسيحيين الشرقيين، فعليه، قدر المستطاع، أن يراعي النظام الشرقي، ويمسك عن المناولة إذا احتفظت بها هذه الكنيسة لمؤمنيها دون غيرهم".

من ثم تتوقف التوجيهات عند الزيجات المختلطة معرّفة "الزواج المختلط" على أنه زواج معقود بين طرف كاثوليكي وأي طرف مسيحي معقد آخر، على غير شركة كاملة مع الكنيسة الكاثوليكية" وهو يختلف عن زيجات "اختلاف الدين" الذي هو مانع مبطل للزواج. وهنا إشارة إلى أنه "يبقى الزواج بين أفراد من ذات الجماعة الكنسية هو الهدف الذي يجب تحبيذه والتشجيع عليه". لهذا تشترط التوجيهات الحصول على إذن الرئاسة الكنسية لكي يكون الزواج بين أفراد معمّدين، أحدهم كاثوليكي والآخر غير كاثوليكي "قانونيًا أو جائزًا (licit)، ولكن، لا ليكون صحيحًا (valid)".

وتتابع التوجيهات أنه ممكن منح الإذن بزواج طرف كاثوليكي من طرف غير كاثوليكي شرط أن يعلن الطرف الكاثوليكي أنه أو أنها سيبقى أو ستبقى أميناً أو أمينة للإيمان الكاثوليكي وأن يعمل أو تعمل كل ما بوسعها أو وسعها ليقبل الأولاد العماد وأن يتربوا في الكنيسة الكاثوليكية. على أن يطلع الطرف الآخر على هذه المواعيد وأن يتعلّم الطرفان أهداف والميزات الأساسية للزواج. ومن ثمّ تسرد التوجيهات النصوص التي تنظّم اشتراك الكهنة الكاثوليك مع غير الكاثوليك.

تعقيب

أول تعليق على ما أوردته الوثيقة، أن استنادها إلى دليل المجلس الحبري لتعزيز الوحدة بين المسيحيين "دليل لتطبيق مبادئ الحركة المسكونية وقواعدها"، يعني أن كل التوجيهات تنطبق على الكاثوليك أينما كانوا، بمن فيهم في لبنان وسوريا. وعليه، يمكن القول بأن كاثوليك هذه البلاد، كما أرثوذكسيوها، لا يحترمون توجيهات كنيستهم ولا يطبقونها.

قد يرى البعض في نشر هذه التوجيهات، ومنهم غالبية الإكليروس الأرثوذكسي في أنطاكية من كافة الرتب، نبشاً للنار تحت الرماد. لكن الواقع هو أنه لا نار هناك بل رماد فقط. فهذه النصوص تحدد للإكليروس الكاثوليكي، حتى آخر تفصيل، واجباته وحدود مشاركته في الأكاليل والجنازات والقاديس، بمقابل القوانين الأرثوذكسية التي تمنع بشكل قطعي على الإكليروس المشاركة في خدم غير أرثوذكسية أو خارج الكنيسة الأرثوذكسية، أو حتى استقبال إكليروس غير أرثوذكسي في الخدم. لكن الممارسة أن أياً من الطرفين، وعلى كل المستويات، لا يحترم قوانين كنيسته ولا قوانين الكنيسة الأخرى. هذا معناه أن لا نار هناك، وإن كان من نار فهي تحرق الغيارى وحدهم، خاصةً عندما يتعاطى معهم "المنفتحون" على أنهم متعصبون ومنغلقون وتنقصهم المحبة.

عملياً، هذه التوجيهات تسخّف "انفتاح" الإكليروس الأرثوذكسي، خاصةً أولئك الذين لا يريدون أن "يمنعوا الكأس" عن أحد، بحجة المحبة قبل أي شيء آخر. وفوق هذا، تُدين هذه التوجيهات الإكليريكيين، والمطارنة منهم أولاً، الذين يطمرون رؤوسهم بالرمل، معتقدين بأنهم يُعفّون من الدينونة إن لم يعلموا، وأن الراحة التي يحصلونها بتلافي التعليم هي راحة مستدامة حتى الآخرة.

إن أولى الوصايا التي يتسلّمها الإكليريكي هي "خذ هذه وكن أميناً عليها"، وهذه هنا تشير إلى القدسات، ومن ثم يأتي المؤمنون. من ليس أميناً على القدسات لا يستطيع ادّعاء الأمانة على المؤمنين، ولا محبتهم محبة مسيحية، بل يكون أعمى يقود عميان.

[1] https://www.lpj.org/ar/posts/المقدسة-الأرض-الكاثوليكية-الكنائس-مسكونية-للكنائس-الكاثوليكية-الأرض-المقدسة.html?s_cat=948